دراسات الأدب المعاصر، السنة الثالثة عشرة، ربيع ۱۴۰۰، العدد التاسع والأربعون: صص ۴۵- ۷۰

المنهج الثورى والاحتجاجى فى قصائد يحيى السماوى ومعروف الرصافى

مصطفى إسماعيل پور*
آسيه ذبيح نيا عمران**
محمود صادق زاده***

تاريخ الوصول: ۹۸/۱۲/۱۴
تاريخ القبول: ۹۹/۵/۴

الملخّص

يحيى السماوى و*معروف الرصافى*(۱۸۷۵-۱۹۴۵م) من شعراء العراقيين المعاصر الذين جعلوا الأولوية القصوى فى أشعارهم المواجهة مع الطغيان الداخلى والعداء الخارجى فى كافة المجالات السياسية والإجتماعية والثقافية والإقتصادية. إنهما طالبا المواجهة ضد التيارات المناهضة للحرية. وقد لعبت ظروف المجتمع العراقى دوراً هاماً فى شعرهما. *السماوى* و*الرصافى* كلاهما يبحثان عن لغة للحوار مع جميع شعوب العالم والتعبير عن المعاناة الإنسانية فى قصائدهم الثوريّة. إن الثقافة الثورية هى بمثابة قصيدة احتجاجية وانتقادية تعبر عن الآلام والمعاناة الاجتماعية. إنها مثل المحكمة التى تحاول لإدانة وتدمير الفساد والإفصاحات ومكافحة الظلم. فى هذه المقالة، نحاول وصف الآثار الثورية بأساليب وصفية وتحليلية دراسة الآثار الثورية وانعكاسها فى قصائد هذين الشاعرين العراقيين.

الكلمات الدليلية: الثقافة الثورية، العراق، الرصافى، السماوى، الإحتجاج.

* طالب الدكتوراه فى فرع اللغة الفارسية وآدابها فرع أنار، جامعة آزاد الإسلامية فى أنار، إيران.
esmailpoormostafa63@gmail.com
** أستاذ مشارک فى اللغة الفارسية وآدابها، جامعة بيام نور يزد، إيران. Asieh.zabihnia@gmail.com
*** أستاذ مشارک بقسم اللغة الفارسية وآدابها، فرع يزد، جامعة آزاد الإسلامية، يزد، ايران.
الكاتبة المسؤولة: آسيه ذبيح نيا عمران

المقدمة

علـى مـر التـاريخ، تفاعـل البشـر الثوريـون والمتشـددون مـع الانحرافـات الفرديـة والاجتماعية والاضطرابات السياسية. وهكـذا، فـإن الفتـرة التـى تواجـه فيهـا المجتمعـات البشرية أوجه قصور ومشكلات اجتماعية واقتصادية وثقافية توفر أرضـية جيـدة لاشـراك الفن. بالطبع، يلعب الأدب دوراً أكثر أهمية فى الحياة نظرًا لأهميته غيـر العاديـة، بحيـث تبدأ معظم الثورات الكبرى فى العالم فى القرون المعاصـرة بتسـييس وانتقـاد الأدب. فـى مثل هذه الحالة، الشعراء والكتاب الملتزمين والمهذبين، لن تكون أعمالهم الأدبيـة خاليـة من الآراء النقدية. توحد الثورة الشعبية ليس فقط السلطة السياسية، ولكـن أيضًـا السـلطة فى جميع المجالات الثقافية والاجتماعية، مثل السلسلة المقدسة، لجميع الروائـع الأدبيـة المعاصرة. فى الأدب العراقى المعاصر، وخاصة فى مجـال الشـعر، هنـاك قصـائد نـوع مـن التمرد على الوضع الحالى للمجتمع. لذلك، فى مسار تاريخى وثقافى مستمر، تم استيعاب أو تجنب ما يجب فعله وما لا يفعله ومتطلباته أو صده من قبـل مفكـرين مختلفـين فـى طريق أهداف مختلفة والالتزام بالمثل العليا مثل: البحث عـن الحـق والكماليـة والمسـاواة والاستقلال. الحرية والعدالة والاحتجاج ضد افتقارهم ليس شعاراً أخلاقياً فحسب، بـل هـو أيضاً حاجة داخلية، تنشأ مع تطور رؤية الإنسان للحياة.

الشعراء العراقيون فى الاهتمام بالثورات القومية التى نجمت عن القمع الحكومى. «لكن فى هذا القرن، لم يتطور الشعر القومى بعد بهذا المعنى السياسى، وكان الشـعراء فخـورين فقط بأصولهم العربية العريقة»(عزالدين، ١٩٥٧: ١٢١). «اختار الشعراء مواضيع بعيدة كـل البعد عن المشاعر الإنسانية ومشكلات المجتمع واستبداد الحكام، كما لو كان التعبير عـن الواقع عاراً»(الخياط، ١٩٨٧: ١٣). من الواضح أن التقليدية والانتباه إلى الأسـس البنيويـة للفترات السابقة قد دمرت روح الشعر، بحيث كان الفرق الوحيد بين الشعر والنثر هو الوزن والقافية(المرجع نفسه). استمر هذا الركود حتى ذلك الحين. قـد وجـد أن بليغتـه، وقـوة كلماته، وجمال أسلوبه وخطابه ضعيف(خفاجى، ١٩٨٥: ٣٧/١). مهـدت الحـرب العالميـة الأولى واحتلال العراق وحكم السلالة الهاشمية الطريـق لظهـور الشـعر السياسـى، وكانـت النزعات القومية والوطنية والحرية والاستقلال وتشكيل حكومة مستقلة من أهـم مواضـيع الشعر السياسى فى هذه الفترة(المرجع نفسه: ٣٢).

كان أسلوب الشعر السياسى والاجتماعى بسيطا وواضحا(الجيوسى، ٢٠٠١: ٢٤٣). لم يكن الشعراء فى هذا العصر مجرد مادحين واصفين فقط، ولكن تحت تأثير الظروف الاجتماعية والسياسية، كانوا حملة راية العدالة والإصلاح(الدجيلى، ١٩٥٩: ٣١). الثورة هى عملية تعالج الطيفين الرئيسيين للشعب والحكومة وتحاول تحقيق أهدافها باستخدام طرق متنوعة وفعالة. إلا أنها من أهم السمات التى لها حضور قوى فى شعر الشعراء العراقيين المعاصرين وتتطلب مناقشتها من جوانب مختلفة وأسباب تحول الشعراء إلى هذه الظاهرة وتأثيراتها. يجب تحديده فى الشعر وتأثيره فى القضاء على الظلم والاستبداد. من خلال تعرف الشعر الثورى وتصنيفه وتحليله، فإننا سوف نكون قادرين على التعرف على نوع المجتمع من حيث كونها الايجابى والسلبى، ونوع الحكومة، والسياق الاجتماعى للفئات مختلفة.

تجيب هذه المقالة على السؤال التالى فى سياق المناقشة:

- ما هى أبرز الموضوعات النقدية والثورية فى الشعر *السماوى* و*الرصافى*؟

خلفية البحث

بعض الأعمال المنشورة فى مجال قصائد *السماوى* و *الرصافى* هى كما يلى:

فى عام ٢٠١٢، دافع *بلافى* عن أطروحة الدكتوراه بعنوان «توظيف الموتيف فى شعر يحيى السماوى» فى جامعة الفردوسى مشهد المقدسة تم فى هذا البحث دراسة موضوعات القصائد والقضايا الاجتماعية والسياسية فى أعمال *السماوى*.

نشر *الغيبى* و*جبارى* مقالاً بعنوان «يحيى سماوى، مظاهر معاداة أمريكا فى الشعر العراقى المعاصر» فى مجلة نقد الأدب العربى المعاصر. يقول هذا المقال: شعر المقاومة كنوع أدبى مؤثر هو أكثر بروزاً بين الأنواع الأدبية الأخرى بسبب الظروف الخاصة السائدة فى العراق. إن شعراء المقاومة العراقية باستخدام سلاح الكلمة قدموا رواية فنية عن صمودهم ومقاومتهم وشعب أرضهم ضد الظلم. أما يحيى *سماوى* فهو من الشعراء العراقيين المعاصرين الذين يعارضون بشدة النظام البعثى الذى يحكم المجتمع العراقى والمحتلين الأمريكيين ولا يقبلون هيمنة أى منهم. مع سلاح الشعر القوى، أعلن

احتجاجه ضد الاستبداد، وخاصة الاستعمار، وحارب الأجانب. تتناول هذه المقالة قصائد مقاومة *يحيى سماوى* بعد احتلال العراق من ٢٠٠٣ حتى نهاية ٢٠١١م.

علوى وآخرون فى عام ٢٠١٧، نشروا مقالا بعنوان «دراسة مقارنة للحرية فى شعر معروف الرصافى وفرخى يزدى» نشرت فى مجلةالدراسات المقارنة الفارسية - العربية التى تنشر فى ربعين. يدرس هذا المقال، الطريقة الوصفية التحليلية، القائمة على المدرسة الأمريكية للأدب المقارن، المقاربات الشائعة المعروفة *لرصافى وفرخى يزدى* حول الحرية السياسية والاجتماعية، مثل حرية التعبير، وحرية الفكر، وحرية الصحافة، وحرية العمال والفلاحين. من أهم نتائج هذا المقال أن الشاعرين كرسوا شعرهم من أجل حرية وتحرير الشعب من الاستبداد ولاحظوا القضايا الأخلاقية فى هذا الصدد، على الرغم من أن إصرار *فرخى يزدى* على الحرية أكثر من *المعروف الرصافى*.

فى عام ٢٠١٨، نشر *غيبى وحسينى طوان* مقالا بعنوان «مفاهيم مشتركة فى شعر الشعراء العراقيين فى المنفى(دراسة خاصة ليحيى السماوى وعدنان الصايغ)» فى مجلة الأدب الغنائى فى زاهدان.تظهر نتائج هذا البحث أن النفى والبعد عن الوطن قد أدى إلى تكوين هياكل ومفاهيم مماثلة فى قصائد هذين الشاعرين، مثل الصراحة ووضوح التعبير، وتذكر ذكريات الماضى، واستخدام الطبيعة وحب الوطن.

فى عام ٢٠١٨، نشر *صالح زاده* مقالاً بعنوان «دراسة مقارنة لإدانة الظلم فى قصائد الرصافى والشهريار» فى مجلة أرمز. يتناول هذا البحث التحليل الموضوعى لمظاهر مناهضة الظلم والنضال ضد القمع والاستعمار فى قصائد *الرصافى والشهريار*.

فى عام ٢٠١٤، نشر *باقرى وجهانگير جاهد* مقالاً بعنوان «تجنيد الألغاز فى شعر يحيى السماوى» فى مجلة الأدب المعاصر. جاء فى هذه المقالة: يُعد *يحيى السماوى* من الشعراء الذين عاشوا محنة العراق فى ظل سياط الديكتاتورية الصدامية، وبعده، الإحتلال الأمريكى تحت شعار حرية الزائف. ويُعد من الشعراء الذين يعبرون عن آلام الشعوب بكل صدق وأمانة، وهو فى نفس الوقت ضحية الأصول والمواقف التى يؤمن بها، مما سبب له المعاناة والتشرد والاغتراب. الشاعر يستمد رموزه من البيئة، ويكثر من ذكر المفردات الدالة على الطبيعة؛ ويخلع عليها من عواطفه، وينقلها من دلالاتها المعجمية إلى دلالات جديدة، كما طبيعة الطيور والحيوانات وصفاتهما ألهمت الشاعر فى استخدامها بصورة رامزة للتعبير عما

يجرى فى العراق ستحاول هذه الدراسة أن تكشف رؤية *السماوى* الشعرية من خلال استخدام هذه الرموز، والتعرف على دلالاتها وأبعادها فى خطابه الشعرى. إنما يريد من خلاله التعبير عن أحاسيسه وآلامه إزاء ما تمر بالعراق الجريح من الظلم، والدمار والمآسى، وحث الشعب العراقى على الصمود والمقاومة.

فى عام ١۴۴۴ق، نشر *معروف* وآخرون مقالاً بعنوان «دراسة أسلوبية فى الدواوين النثرية للشاعر العراقى يحيى السماوى؛ المستوى الصوتى» فى مجلة «بحوث فى اللغة العربية وآدابها».

فى عام ١۴٣۵ق، نشر *البلاوى* وآباد مقالاً بعنوان «ملامح المقاومة فى شعر يحيى السماوى» فى مجلة آفاق الحضارة الإسلامية.

فى عام ٢٠١١م، نشر *البلاوى* و*طالب زاده* مقالاً بعنوان «التناص القرآنى فى شعر يحيى السماوى» فى مجلة الدراسات الأدبية.

فى عام ٢٠١٢م، نشر *حاجى زاده* و*أبهان* مقالًا بعنوان «دور القرآن والتراث الدينى فى قصائد يحيى سماوى فى المعادية للاستعمار» فى المجلة الفصلية للأدب الدينى.

كما يتبين من عناوين المقالات السابقة، لم يتم تحليل قصائد *السماوى* و*الرصافى* من وجهة نظر الاحتجاج والنقد، لذلک من الضرورى فحص قصائد هذين الشاعرين فى هذا الصدد.

على الرغم من البحث المكثفى والشامل عن الأدب العربى المعاصر فى المراكز البحثية والأكاديمية، وكذلک الكتب القيمة المكتوبة فى هذا المجال، لم يتم حتى الآن إجراء أى بحث مستقل عن المحتوى الثقافى الثورى فى القصائد *السماوى* و*الرصافى*.

يمكن لهذه المقالة مساعدة الطلاب والباحثين على فهم التيار الثقافى للثورة من خلال سد هذه الفجوة البحثية، وهذا يتطلب الحاجة إلى البحث الحالى ويمكن أن يكون نصراً فى هذا المجال.

تعتبر الثقافة الثورية من أهم السمات التى لها حضور قوى فى شعر الشعراء العراقيين الفارسيين وتتطلب مناقشتها من جوانب مختلفة. إن القضايا الثقافية للثورة هى عملية تعالج الطيفين الرئيسيين للشعب والحكومة وتحاول تحقيق أهدافها باستخدام طرق

متنوعة وفعالة. طريقة المناقشة فى هـذه المقالـة وصـفية تحليليـة وتسـتند إلـى الأدوات المكتبية.

البـواطن، المضـامين وموضـوعات التقاضـى والنقـد والاحتجـاج فـى قصـائد يحيـى السماوى ومعروف الرصافى

لطالما اعتبر البشر المناصرة فى سبيل الحقيقة كفضيلة فى جميـع الأعمـار والقـرون، وكان أكبر اهتمام بعقله ورغبته ومثله الأعلى هو تحقيقها وتنفيذها. ليس هنـاك مـا هـو أكثر إيلاما وإثارة للاشمئزاز من اضطهاد الطبيعـة البشـرية المضـطهدة، ولا شـىء يخلـق الكثير من الظلم والكراهية والعداء والعداوة فى القلوب.

لقد تعامل جميع الشعراء والمفكرين فى أوقات مختلفة مع قضـية التقاضـى والعدالـة، وتحدثوا بصراحة عن الاضطهاد فى المجتمع وحـذروا الحكـام مـن وقـتهم وفـى عصـرهم بطرق مختلفة. يتم فى هذا القسم دراسة مفاهيم وآثار التقاضى والاحتجاج والنقد فى شعر *السماوى والرصافى*.

١.دعوة المظلومين إلى التظلم ومحاربة الحكام الظالمين

الرصافى غير راضٍ عن الحكومة الوطنية. ولأن ملك العراق كان يعتمـد علـى بريطانيـا ولم يصل إلى الحكومة بقدراتـه ولـم يتـدخل الشـعب فـى انتخـابهم، فإنـه يغنى(ينشـد) احتجاجاً:

حكومة شعبنا جارت وصارت　　علينـا تستبـدّ بمـا أشـارت
فلا أحداً دعته ولا اسـتشارت　　وكـلٌّ حـكومة ظلمت وجار
فبشرّها بتمزيق الحـدود
حـكومتنا تميل لباخـسيها　　مـجانبة طـريق مؤسـسيها
فلا يغـرك لينُ مُلابـسيها　　فهم كالنار تحرق لامـسيها
وتحسُن للنواظر من بعيد

(الرصافى، ٢٠١٢: ١٧٨)

وينتقد *الرصافى* الحكومة المنتسبة للأجانب بهذه الطريقة:

أنا بالحـكومة والسياسة أعـرفُ أأألام فـى تفنيـدها وأعـنَّف؟
سأقول فيها ما أقول ولـم أخف من أن يقولوا: شاعرٌ متطرفُ
هذى حكومتـنا وكل شموخها كذبٌ، وكلٌّ صنيعـها متكلف
غشَّت مظاهرها، و مُوِّه وجـهها فجميـعُ ما فيـها بهارج زيَّفُ
وجـهان فيـها باطـن مستـتـر لأجنبـى وظاهـر مـتكشـف
والباطـن المستور فيـه تحكم والظاهرالمكشوف فيه تصلُّف

(نفس المصدر، ٢٠١٢: ٦٧٠)

فى مكان آخر يقول:

مثل الحكومة تستبدّ بحكمها مثل البـناء على نقاً متهيّل

(نفس المصدر، ٢٠١٢: ٢٣٦)

الرصافى يحتج على سياسات الحكام العثمانيين:

كيف القرارُ على أمور حكومة حادت بهنَّ عن الطريق الامثل

(نفس المصدر، ٢٠١٢: ٢٣٦)

السلطان عبد الحميد هو أحد ملوك الدولة العثمانية ينتقده *الرصافى* بشدة:

سكنـا من جهالتنـا بقاعـا يجوز بها المؤمَّر ما استطاعا
فكدنا أن نموت بها ارتياعا وهبنا أُمةً هلكـت ضياعـا
تولَّى أمرها «عبد الحميد»

(نفس المصدر، ٢٠١٢: ١٧٩)

من القصائد التى انتقد فيها الاستبداد وخاصة أعمـال *السـلطان عبـد الحميـد* قصـيدة «وقفة عند يلدز». تصف هذه القصيدة قصر يلدز *لسلطان عبد الحميـد*، الملـك العثمـانى، فى وصفه لقصر القصور، والشاعر، فى شكل المجاز، يتهم هذا القصر بالقمع الـذى ارتكبـه. والحقيقة هو صاحب القصر؛ *سلطان عبد الحميد*.

قد تخوّنتنا ثلاثيـن عاماً جئت فيها لنا بكلّ محال
تلـك أعوام رفعةٍ للأدانى تلك أعوام حطةٍ للأعالى

(نفس المصدر، ٢٠١٢: ٥٦٨)

قام بتأليف قصيدة «تموز الحرية» بمناسبة الإطاحة *بالسلطان عبد الحميد* الملك العثمانى ومطلعها:

إذا انقضى مارت فاكسر حلفه الكوزا واحفل «بتموز» إن أدركت «تموزا»

(نفس المصدر، ٢٠١٢: ٥٧٢)

مرة أخرى، يرى الحكومة أصناما يعبدها الناس(مرة أخرى، عنده الحكومة أصنام يعبدها الناس):

إن الملوک لک الأصنام ماثلة الناس تنحتها والناس تعبدها

(نفس المصدر، ٢٠١٢: ٧٩٦)

السماوى، فى الوقت الذى استولى فيه حكم صدام الجامح على السلطة ولم يحقق شيئا سوى التعذيب والإرهاب، غنى السماوى قصائد كشفت وجوه الظالمين ليلة الانتفاضة وكشفت الحقيقة الخفية.

وقال بشكل غير مباشر لصدام فى قصيدته «ماذا تغيَّر»: «لم يتغير شىء، أمس، لصوصک أكلوا لحوم الناس والآن المحتلون يرتكبون كل أنواع الفظائع ضد الأبرياء».

ماذا تغَيَّر؟ نفسُها الأسُسُ أمّا الجديدُ فإنَّه الدّلَسُ

بالأمس كان اللصُّ ينهشُنا واليومَ ينهشُ لحمنا العَسَسُ

(السماوى، ب ٢٠٠٦: ١٦٩)

ويتحدى *السماوى* طاغوت العراق المستبد؛ *صدام* حسين فى مثل هذه النبرة السخيفة فى قصيدته المسماة «قالت وجرحک جرحى»:

صدام: يا وسخ الدنيا برمَّتها يا بئس مَن حُكموا يوماً، ومَن حَكموا

بحجم مجدک نعلى يا ابن ألف أب نذل لواحدةٍ، حيث الرضاع دم!!

تِه يا خبيثُ... فلأيام دورتها وسوف يُنتعل الطاغوت والصَّنم!

(نفس المصدر، ١٩٩٢: ١٥٢)

فى مكان آخر يغنى احتجاجاً:

«سقطَ الديكتاتور../ فمتى تسقطُ الديكتاتورية؟/ كم ثمودٍ يجبُ أن تندثر/ وكم عاد يتعَيَّنُ دفنها/ ليكفَّ ملوکُ الطوائف/ عن إثارة غبار الفتنة؟/ الريحُ الصفراء/ لم تُبْقِ من الرمال/ ما يكفى النعامةَ لدفنِ رأسها!»(نفس المصدر، ٢٠٠٩: ٣٨-٣٧)

يقول مرة أخرى عن المأساة التى أصابت دجلة:

تـركـتُ دجـلةَ يعـوى فـى خرائبها كلـبٌ، وتـمـرغ ذئبـان بـلا عــدد
فـمـا جلـسـتُ إلـى شـطآنها غـرِداً إلّا ويسبقنـى نحـو العـذاب غـدى
تمخّض إلى الرّجـس يوماً فى مرابها فليت «صبحة» لم تخصب ولم تلد!

(نفس المصدر، ١٩٩٢: ١٨)

انه يغنى أيضاً:

«أمِن ثِقَـل وِزرِ الخيانـة/ أم الحبـوب المُهَـدّئــة للأعـصـــاب/ تـتـرنـّحُ سـيقانـــهم؟/ يـريـدون التحكُّمَ به مجرى النهـر/ مـع أنّهـم/ ليسـوا أكثـــر مـن واو عمـرو/ فـى تـاريخ مجراه!»(نفس المصدر، ٢٠٠٩: ٣٨)

يشبه *السماوى* الإمبراطور إلى المتسول:

«أيُّها الإمبراطور/ لا فرقَ بـينک وَبـين الشحّاذ/ فكلاكما يجلس عـلى عجيزته»(نفـس المصدر، ٢٠٠٩: ٥٤)

يحتج على الظلم والاختناق الذى خلقه الحاكم:

«أيها الامبراتور/ المدينة لا تحتاجُ كلَّ هولاء العســس والمتـاريس/ سـتكفى لإضـاءتها/ شمعةٌ عدل واحدة../ كثرةُ السجون لا تعنى/ تطبيق العدالة!»(نفس المصدر، ٢٠١١: ١١٧)

يصف *السماوى* بصراحة اللهجة والشراسة الحكام الخونة، على أنهم أخطر تهديد لتدمير وطنه:

«أخْطَرُ ما يهَدّدُ الأوطانْ/ القادَةُ الإماءُ.../ والحاشيةُ الغلمانْ/ وفاتحو الأبوابِ نصفَ الليـلِ/ للدَّخيلِ والمنبوذِ والجبانْ»(نفس المصدر، ب ٢٠٠٦: ١٢٣)

يغنى على نفس الموضوع:

«أخطَرُ ما يُهَدّدُ الأوطانَ/ فى حياتِنا المعاصِرة/ القادة السماسِرة/ وفاتحو الأبـواب نصـف الليل للأباطرة!»(نفس المصدر، ب ٢٠٠٨: ٩٩)

فى قصيدة «ذعر»، يشكو الشاعر من الوجود المستمر للمستعمرين فى وطنه:

«مادام أنَّ السُلَّ والطاعون/ يفترشان بستان القبيلة»(نفس المصدر، ب٢٠٠٦: ٣٥)

يشبه مرة أخرى الحكام بالفحول التى مقاليدها فى أيدى المحتلين والكذابين والجبناء الذين ليس لديهم إرادة خاصة بهم:

«يا سادتى الولاة/ فى مدائن الأحزان/ جميعُكم أحصِنة/ لا تملكُ الأمرَ على لجامِها/ فكيف للشعوبِ أن تُقيم مهرجانها/ حينَ يقودُ ركبَها حصان/ يركبُهُ المحتلُّ.. والآفِك.. والمنبوذُ.. والجبان؟»(نفس المصدر، ب ٢٠٠٨: ٨٤)

الشاعر المتقاضى والمتظلم ينتقد الحكام بسوط النقد، لأنهم مبدعو الشعب المتشرد(بدون رأس أوساق) فى أرض العراق.

«الناس قد خلقوا على صنفين/ فى أرض العراق:/ ساقٌ بلا رأس../ ورأسٌ دون ساقِ»(نفس المصدر، الف ٢٠٠٨:١٧٧)

٢.دعوة للقتال ضد الاستعمار والقوى العسكرية

الاستعمار يعنى حرفياً "السعى إلى التنمية " و"الاستيطان"، وهو ما يعنى هجرة مجموعة من بلد واحد وتشكيل وحدة سكنية جديدة فى أراضى جديدة... ولكن المعنى المشترک المستخدم اليوم، «الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية لأمة قوية على أرض أو أمة ضعيفة»(الآشورية، ١٣٥٨: ١٧-١٥).

قصائد *يحيى سماوى* مليئة بالغضب والنضال ضد المغتصبين وتبين التهديد الواضح لمحتلى العراق. مضامين وموضوع معظم قصائده هو دعوة للقتال ورسم وجوه الطغاة. ويسعى إلى تسليط الضوء على المشاكل التى يسببها وجود المستعمرين فى العراق. لديه ثقة كاملة فى تحرير نفسه من براثن المحتلين، (بلهجة صريحة وغير خائفة يتحدث ضد أفعال القوى الاستعمارية ويكشف عن فسادهم القذر). أو (يدين صراحة وبلا خوف تصرفات القوى الاستعمارية ويكشف عن فسادها القذر).

بعد دخول العراق، خلق الأمريكيون الكثير من الفساد، من تعذيب السجناء فى سجن أبو غريب إلى إهانة النساء العراقيات العفيفات العديدات. *السماوى* يتحدث بلغة بليغة عن فسادهم:

«يلزمنى حبلٌ/ من غوانتانامو حتى أبوغريب/ لأنشرَ عليه/ آخرَ مُبتكرات شُرطة أمريكا/ فى فنِّ التعذيب/ يلزمنى قلب «هولاكو» وضمير «تيمور لنک»/ لأعرفَ حجم لذة «المحرر الأمريكى»/ بعد اغتصابه زهرة الله «عبير قاسم حمزة»/ قبل رشِّ صدرها بالرصاص/ وإيقاد النّار فى جسدها»(السماوى، ٢٠٠٩: ٨٢-٨١)

تشير الأبيات المذكورة أعلاه إلى مأساة تدنيس السيدة العراقية من قبل الجنود الأمريكيين؛ «عبير قاسم حمزة» اسم فتاة مراهقة تلاحقها القوات الأمريكية المتوحشة فى الشارع، وبعد مهاجمة منزل هذه الفتاة وتدنيسها، أشعلت النار فى عائلتها بأكملها حتى لا تبقى آثار الجريمة.

يقول الشاعر هذا مرة أخرى عن جرائم الأمريكان وإهانتهم لمقدسات الإسلام: فى يوم عاشوراء، قتلوا وذبحوا الشعب الحداد ولم يحفظوا قدسية *الإمام الحسين(ع)* وقتلوا بالرصاص وارتكبوا جرائم مروعة فى العراق.

«طفلٌ بلا ساقَينْ/ وطفلةٌ مشطورةٌ نِصْفَينْ/ وطاعِنٌ دونَ يدٍ/ وإمرأةٌ مقطوعةُ النهدينْ/ وَكوَّةٌ فى قُبَّةِ «الحسين»/ جميعها: مَرَّتْبـ «كربلا»/ تحيةً ليومِ «عاشورا»»(نفس المصدر، ب ١٢٥:٢٠٠٦)

إن أهم نتيجة لاحتلال العراق هى نهب المستعمرين لرأس المال الوطنى. يدخل *السماوى* ساحة المعركة عندما يرى المحتلين يوجهون أصابعهم نحو النفط العراقى. بلغة بسيطة، يعبر عن اشمئزازه من حضورهم وطريقة تصرفهم. وفى قصيدة "أخرجوا من وطنى"، يخاطب المحتلين ويطلب منهم تحرير أمته من سلسلة الشعارات الخادعة.

«حَرِّرونا منكم الان.../ ومِن زيف الشعاراتِ/ وتجّار حروبِ «النفط والشفط»/ وأصحابِ حوانيتِ النضال/ سارقى أرغِفَة الشعب/ أدلّاءِ جيوشِ الإحتلال»(نفس المصدر، ب ٢٠٠٦: ٩)

فى قصيدته «كل عصر وله رب وهولاكو الجديد»، ينتهر اللصوص النفطيين بشفرة الحلاقة ويلومهم بلذعة مولعة، لأنهم هاجموا أرواح الناس وممتلكاتهم وشرفهم ويجلسون على الطاولة الوطنية الملونة باسم إله الحرب وإراقة الدماء، إنهم يتركون المواد الرئيسية لأنفسهم ويتم نهب بقايا الثروة؛ يقدمون النار والتلوث للناس:

«ولهم به اسم إله الحرب/ ما يفضُلُ من مائدة الجنة والنار لنا...!/ ولهم ما تكنزُ الأرض من النفط/ وعفط العنزِ والزفتُ!»(نفس المصدر، الف ٢٠٠٨: ٤٣)

يصور الشاعر نهب النفط بيد الأجانب فى ديوانه المسمى بـ«مسبحة من خرز الكلمات» على النحو التالى:

«به ماذا يغويک عاشق/ لا يملكمن «بحر نفط الوطن»/ لتراً واحداً لفانوسه/ فى الوطن المعروض للايجار»(نفس المصدر، ب ٢٠٠٨: ٩٨)

فى مكان آخر، يعدد الشاعر ذخائر والمخازن الالهية فى أرضه ويقول بأسف: اللعنة! الثروة الثمينة هى نصيب المحتلين، ونصيب الناس من النفط التلوث ومن السهول القش (التبن)والمواقد الساخنة الرماد ومن قوات الأمن الضرب. هذا نصيبهم من هذه الثروات الموهوبة من عند الله. من عطاء الله الكريم.

«لى من نفطه: السّخام/ من حقولِه: التبن/ من تنوره: الرماد/ من بقَرته: الرَّوث/ ومن شرطتِه: الصّفعات/ عَجبا!»(نفس المصدر، ٢٠٠٩: ٩٢)

يستدعى الشاعر اللصوص بروح الدعابة والسخرية الساخرة اللاذعة، وبالتالى يهينهم:

يا لُصوصَ الحرب بانَ النَصَبُ هـذه أسمَالُـها فَانتَـهبـوا

(نفس المصدر، ٢٠٠٣: ٢٦)

الشاعر يشبه المحتلين بالذئاب التى تهاجم الشعب العراقى وتسرق كل ما فى وسعهم، والشعب العراقى غير راض عن استبدالهم ببعثيى الخنزير، وفى النهاية يدعو الشاعر المحتلين بمغادرة وطنه.

«فاخرجوا من وطنى المذبوح شعباً وبساتين/ وانهاراً... وطين/ فاتركونا بسلامٍ آمنين/ نحن لا نستبدلُ الخنزيرَ بالذئب/ ولا الطاعون بالسُّل/ وموتاً بالجزام/ فاخرجوا من وطنى»(السماوى، ب ٢٠٠٦:٨-٧)

ويقول *السماوى* غير راض عن الظروف الفوضوية التى خلقها المحتلون للمجتمع العراقى.

«فاخرجوا من وطنى/ وامْنَحونا فرصةَ الدَّفْنِ لموتانا/ وأنْنُخْرِجَ من تحتِ الرُّكامْ/ جُثَثاً ما به لغتعُمْرَ الفِطامْ»(نفس المصدر: ١٢)

يعتبر الشاعر كل معاناة الشعب العراقى حضور وتدخل للأميركيين فى وطنه، وقد سئم من أعمال المغتصبين، ويعلن أن السبيل الوحيد لأمن وراحة الشعب العراقى هو أن يغادر الأمريكيون بلاده.

فى كتاب «من تمثال الحرية فى نيويورک»، سخر *السماوى* من تمثال من الرخام فى مدينة نيويورک، واصفا إياه بأنه مشنقة تحمل شعلة مرفوعة، والتى يقول البنتاغون إنها

الفتيل الوحيد الذى يحرق العالم، وترى وكالة المخابرات المركزية أنه سيف حاد لقطع أعناق أولئک الذين لا ينحنون لآلهة البيت الأبيض. هنا حاول الشاعر فضح الزعم الزائف للقادة الأمريكيين لخلق الديمقراطية.

«أيّها الربُّ الرخامى المنتصِبُ كالمشنقة/ ليس مِشعَلاً للحريةِ ما ترفَعَه/ إخفضْ يدَک/ فالبنتاغون يراهُ فتيلاً/ لإحراق حقولِ العالم/ والتراه سَيفا/ لاستِئصال رقاب مَنْ يرفضُ الإنحناء/ لآلهة المعبد الأبيض!»(نفس المصدر،٢٠٠٩: ٧٩)

ورد *الرصافى* نفسه، الذى شاهد الأحداث عن كثب وشعر بالقلق فيها، على هذه المسألة فى قصيدة «بين الانتداب والاستقلال»، التى اعتبرت الاستقلال تحت الوصاية البريطانية مجرد وسيلة للسخرية من العراق. ويشير إلى الحيلة البريطانية التى كان يستخدمها للسيطرة على العراق.

تبدّلتم استقلالنا بانتدابكم ولكن على وجه لنا هو معبدُ
خلقتم لنا من كل عهدٍ مموَّه قيوداً بها استقلالنا يتقيّد
إلى أن استقلالنا ضُحكة الوردى به ساخرٌ كلُّ امرىءٍ ومندَّد

(الرصافى، ٢٠١٢: ٦٧٩)

كما يدين السياسات الاستعمارية البريطانية فى نهب موارد الدول فى قصيدة «انكليز فى سياستهم الاستعمار»:

فكم حرثوا فى أرض مستعمراتهم مظالم سوداً كنّ مِن أفظع الحرث
وكم أيقظوا والناس فى الليل نوَّم بها فتنا كالدجن يهمى على العوث
وهم ياكلون الزُّبد مِن منتجاتها ويلقون للأهلين منهن بالفرات
فيحظون منها بالنفائس دونهم ويعطونهم منها السقيط من الخُرثى

(نفس المصدر، ٢٠١٢: ٦٧٨)

يصف *الرصافى* البريطانيين بالمنافقين الماكرة والكاذبة ويعتبرهم منجم القذارة:

لقد جمع الدهرُ المكايد كلّها بقدر كبير صيغ من معدن الخبث
وصبَّ عليها مِن بئار صروفه سجالاً من الكذب المموَّه والحنث
وأنقع فيها ما يعادل ثلثها من المكر بل ما قد يزيد على الثلث

(نفس المصدر، ٢٠١٢: ٦٧٨)

٣.الدعوة إلى المخاطرة وطلب الحق

منتقداً العرب، يقول *الرصافى* بطريقة فكاهية: «ممنوع على الأمة العربية أن تتكلم والطريقة الوحيدة لإنقاذهم هى النوم».

يا قوم لا تتكلموا إنَّ الكلام محرّم
ناموا ولا تستقيظوا ما فاز الا النوم

(نفس المصدر، ٢٠١٢: ٦٥٠)

يرى *السماوى* صمت الناس فى مواجهة أفعال القوات الأمريكية المخزية فى العراق، ويلوم الشعب بطريقة تجعله يقظا.

«كفاك هذا العار/ يا ملّى الله انهضنى/ كفاك هذا العار/ من قبل... الأمصار»(السماوى، ب ٢٠٠٦: ١٥٣-١٥٤)

السماوى يدعو مواطنيه مرة أخرى إلى كسر صمتهم ويصرخ على مكبرات الصمت:

جارَ الزُبى يا ناطقين سُكوت فمتى يُحطمُ صمة المكبوت

(نفس المصدر، ٢٠٠٣: ٣٢)

٤.الدعوة إلى الوحدة والتضامن

كانت وحدة الأمة الإسلامية من المبادئ التى أكد عليها النبى صلى الله عليه وسلم والإسلام. أكثر ما يزعج *الرصافى* هو تعويد الناس على الهوان والإذلال، وهو يحتج لماذا لا يتحدون للتخلص من هذا الخزى والإذلال.

قد استحوذت يا للخسار عليكم شياطين إنس صال فيكم مريدها
وما اتقدت نار الحمية منكم لفقد اتحاد فاستطال خمودها

(الرصافى، ٢٠١٢: ١٥٩)

فى الوقت الذى أدت فيه الانقسامات العرقية إلى تفكك النسيج الاجتماعى العراقى وحرمانه من روح الأمن وصف *يحيى السماوى* هذا الخطر الكبير بأنه إنفلونزا تنتشر بسرعة إلى جسد ونفس الأمة وتفسد المجتمع، وبالتالى فإن السبيل الوحيد للوقاية من هذا المرض المعدى هو إعلان الوحدة والتضامن:

«الأنفلـونزا الطائفيـةُ أشـدُّ خطـراً/ مـن آنفلـونزا الطيـور/ فـى وطـنٍ مُصـاب بكـوليرا الاحتلال»(السماوى، ٢٠٠٩: ٣٥)

فى النهاية، يدعو الشاعر الشعب العراقى المنكوب بالكوارث إلى الاتحاد حتى يتم طـرد المحتلين الذين هاجموا العراق مثل الجراد، ليتمكن الجيل القادم من العيش فى راحة.

«كلُّ الجرادِ البشرىِّ الأن فى بغداد/ فيا جِيـاعَ الرافـدين اتَّحـدوا/ ونظِّفـوا الحقـلَ مـن الجراد/ كى لا يجوعَ فى الغدِ الأبناءُ والأحفاد»(نفس المصدر، ب ٢٠٠٦: ١٠٧)

٥.دعوة علماء الدين إلى الإخلاص والنقاء الداخلى

تعنى الفتوى التعبير عن أمر الله بواسطة فقيه أو مفتى. إن واجـب الفقيـه فـى مجـال القدس هو القضايا العلمية والقواعد الإسلامية، والاجتهاد المستمر بمساعدة مصادر موثوقـة وثقة فى المبادئ الراسخة والمقبولة فى الإسـلام وتجنـب انتقائيتهـا مـع مبـادئ حقـوق المـدارس غيـر الإلهيـة وتجنـب مـزج الحجـج والأحكـام العقلانيـة مـع نتـائج القيـاس والاستحسان والمصالح المرسلة، إلخ. لكن بعـض علمـاء الـدين فتحـوا أفـواههم للفتـاوى الظالمة ودعم الحكام المستبدين خوفًا من معاقبة الحكومة أو كسـب الثـروة أو الشـهرة أو الوضع الدنيوى أو الجهل أو الفقر والبؤس. الشعراء المعاصـرون الملتزمـون، الـذين وجـدوا صعوبة فى تحمل هذه الظروف، وبَّخوهم بشعرهم.

يتحدث *معروف الرصافى* بشكل مؤلم عن جهل المفتى وكفره:

يا أيها المفتـى بتكـفيـرها	مهلاً فقـد جئـت بأمـر نَكيـر
بأىِّ جـهل فيک مـستأصل	علمت يا جاهل ما فى الضمير
وذاک أمـــرٌ ليـس تنتاشُـه	إلّا يـد الله العليـم الـقـديـــر
بل أنت وَغدٌ لاتبالى الهـجا	وهـكـذا كـل لئيـــم حـقيـر
وإنّـــما تعتاظ مـن هـجونا	بـقدر مـا تعتاظ منه الحـمير

(الرصافى،٢٠١٢: ٧٦٦)

السماوى يعتبر علماء المحكمة أكبر تهديد للمجتمع العراقى. هو بقصائده، يكشف عـن تفانيهم المخزى، ويلومهم على السماح بالمجاعة المخزية على أرضهم والعبء على الغربـاء

مع البطانة للأجانب، بفتاواهم المخزية ويفسرون القرآن بإرادة المحتلين وعلى رأيهم وهواهم.

٦.الدعوة للوطنية وتجنب خيانة الوطن والمواطنين

يحيى السماوى يستخدم رمز "أبو راغال" للعرب المتورطين فى غزو المحتلين للعراق ويدعو أبناء وطنه إلى تدمير قصور الديكتاتور وتدمير جذور كل أبى راغال:

يقول الشاعر مخاطبا الخائنين: «وكأنک قرد يرقص مع طبول الأجانب أى أنهم أصبحوا مطيعين للغرباء».

رقصوا على قَرعِ الطبول كأنَّهم فتوىً تُنبيبُ عن الجهادِ قُعودا
ظَنّوا الكرامةَ منصباً فاستَرخصوا كبِراً فكانوا للغزاةِ عَبيداً
مَدُّوا لأحذيةِ الجُناةِ رؤوسَهم جسراً ومدُّوا للأكُفّ خدودا

(نفس المصدر، ب ٢٠٠٦: ١٤)

٧.دعوة الصحفيين لأن يكونوا صادقين والحذر من بث الشائعات والانقسام

الانقسام هو أحد أعمال الشيطان لسوء الحظ، يستخدم حكام جور هذه الأداة لتحقيق أهدافهم. من خلال الوعود الكاذبة، يشجعون المسؤولين الإعلاميين على نشر الشائعات لإبعاد الجمهور عن الحقيقة.

وقال *الرصافى* باحتجاج: «محررو الصحف يزرعون بذور الانقسام والعداء بين الناس من خلال نشر أنباء كاذبة».

فطالع أراجيف الجرائد إنّنى أرى الويل كل الويل بين الجرائد
جرائد فى دار الخلافة أضرمت لهيب خلاف بينها غير خامد
ولم يكفها هذا الخلاف و إنما أطافت بنقص لفى الحقيقة زائد
فما بين مكذوب عليه وكاذب وما بين مجحود عليه وجاحد

(الرصافى، ٢٠١٢: ٣٣٣)

بالإضافة إلى ذلک، يدّعى الصحفيون الخائنون الكاذبون بالإصلاح والصلاح:

يقولون: نحن المصلحون، ولم أجد لهم فى مجال القول غير المفاسد

وكيف يبيّـن الحـقُّ من نفثاتهـم وكـل لـه فـى الحـق نفثـة مارد

(نفس المصدر، ٢٠١٢: ٣٣٤)

٨.دعوة الوزراء إلى القانون وتجنب الإهمال والفساد

الشرعية تعنى الحفاظ على القوانين وإنفاذهـا بإنصـاف واحتـرام حقـوق جميـع أفـراد المجتمع. لذلک، منذ بداية الحياة البشرية، قام الناس من أجل إرساء النظام فى المجتمع أو أغراض أخرى، بسنّ القانون وحكمه فى المجتمع. ولكن فى هذه الدورة التاريخية حتى الآن، أظهرت التجربة أن قوانين الإنسان غير قادرة على إنشاء مجتمع يلتزم بالقـانون، وأن الجهات المنفذة لهذه القوانين لم تحرص على حماية القانون وإنفاذه.

إن أهم سبب لانتقاد *الرصافى* للوزراء هو اعتمادهم على الأجانـب وإهمـالهم فـى حـل المشاكل الداخلية للبلاد.

بـالله يـا وزراءنـا مـا بـالـكـم إن نحن جادلناكم لم تنصفـوا

وكأنَّ واحـدكم لفـرط غُـروره ثمـل تميـل بجانبيـه القرقف

أفتقنعون من الحكومة باسمها ويفوتكم فى الأمر أن تتصرّفوا

هذى كراسـى الوزارة تحتكـم كادت لفـرط حيـائها تتقصّف

أنتم عليها والأجانـــب فوقـكم كلٌّ بسلطتـه عليـكم مشـرف

أيُعدُّ فخـراً للوزيـر جلـوســه فرحاً على الكرسى وهو مكتف

(نفس المصدر، ٢٠١٢: ٦٧١)

٩.دعوة لتصحيح الوضع غير الصحى للمجتمع

لأن المجتمع والحياة الاجتماعية هى واحدة مـن العوامـل التعليميـة الهامـة والصـحة والنمو والكمال للإنسان يعتمد أيضا على صحة المجتمع وإصلاحه. لـذلک، مـن الضـرورى تحديد سبل إصلاح وصحة المجتمع وأسباب فساد وتخلـف المجتمعـات المصـابة، وإزالـة عقبات النمو والتنمية عن طريق البشر. يكشف بوضوح *يحيى سماوى* فى قصيدة «نقـوش على جذع نخلة» المعاناة التى يعانيها الفقراء والجياع فى العراق ويعتبر المحتلـين الجـراد الذى غزا حقول العراق واقتلع كـل شـىء، ويـدعو هـؤلاء النـاس إلـى الوحـدة فـى أرض

الرافدين لتخليص بلادهم من الجراد حتى لا يكون الجيل التالى فقيراً وجائعاً. «هل هذه بغداد» هى قصيدة أخرى *للسماوى*، التى أصبح فيها احتلال العراق تحت ذريعة التحرير مأدبة لنهب العالم حتى يتجمع الجميع على طاولة الحزب حتى يتمكنوا من نهب أرض العراق.

فاذا به تحرير العراقِ وليمةٌ حَفلَتْ بما فى الأرضِ من سُرّاقِ

(نفس المصدر، ب ٢٠٠٦:١٦٣)

فى قصيدة «هل هذه بغداد»، يحاول الشاعر تذكير الناس بالحضارة العراقية القديمة وتاريخها المجيد بذكر أناس مثل «منصور» و«رشيد»، وإحياء روح المقاومة فى قلوبهم وأرواحهم. اسم *الإمام الحسين(ع)* فى آياته لتعريف الناس بالتضحية والتضحية بالذات من ذلك الإمام ليكونوا أكثر تصميما فى النضال وإنقاذ العراق من وضع سيء.

السماوى يصف الوضع الاجتماعى والسياسى فى العراق بعد الغزو الأمريكى للعراق بلغة بسيطة وبليغة ويغنى فى ديوانه «مسبحة من خرز الكلمات»:

«لسنا هنوداً حُمراً.../ فلماذا يريدون إيادتنا؟/ يجتشون بُستاناً كاملاً/ كلما نبتت عُشبةُ فرح.../ يهدمون حيًّا كاملاً/ كلما بنينا بيتاً طينياً/ أخذوا من بقرة الوطن اللحم والحليب.../ وأعطونا الرَّوث والحوافر../ أما من فئران تجارب/ لاختبار آخر مبتكرات البنتاغون غير الشعوب؟»(نفس المصدر، ب ٢٠٠٨: ١٠١)

فى هذه الأبيات، يعبر الشاعر عن آلامه، ويقاتل الغرباء، ويشكو لأعدائه بسبب تدمير بساتينهم وقراهم، وإخراج اللحوم والحليب من وطنه، وترک نفاياته للشعب.

فى قصيدة أخرى، يقدم الشاعر قصيدة بنفس الموضوع:

«استبدلوا:/ بكوفيّتى خوذة/ بحصانى دبابة/ بحديقتى خندقا/ به نخيلى أعمدة كونكريتية/ بأساورى قيودا/ بـ«زهور حسين» «مادونا»/ بالقرآن مجلة ستربتيز»(نفس المصدر، ٢٠٠٩: ٣١-٣٢)

١٠.الدعوة إلى الحرية واستقلال الوطن

الحرية هى واحدة من المفاهيم السياسية والاجتماعية التى اتخذت أشكالاً مختلفة خلال حياة البشر. لقد ذكر جميع الكتاب والمتحدثين والفنانين تقريباً فى أعمالهم سراً

وصراحة هذه الرغبة النبيلة للبشر. الشيء الوحيد الذى يميز معانى وانعكاسات الحرية فى أعمالهم هو التعريفات المختلفة للحرية فى المجتمعات وفى أوقات مختلفة فى حياة الإنسان. لم يوقف المجتمع العراقى الخانق *السماوى* من النضال من أجل الحرية، حتى لو انتهى هذا الصراخ من أجل الحرية على حساب حياته.

لجأتُ إلى السُكوت فَجَفَّ صوتى وحين نطَقتُ لاحَ شراعُ موتى

(نفس المصدر، ٢٠٠٩: ٣٨)

١١.دعوة لتخفيف حدة الفقر

فى جميع الظروف وفى جميع المجتمعات، فى الماضى والحاضر، لا يمكن إنكار أن الفقر هو أشد عنف، وأبشع الاستبداد وأبشع شكل اجتماعى. ومع ذلك، فإن أحد أهم نتائج عدم المساواة الاجتماعية فى العراق هو الفقر الذى جلبه المحتلون للأمة. فى هذه الحالة، لم يبق شعراء الصحوة فى العراق صامتين، ووجودهم فى سياق المجتمع وارتباطهم بهذه الآلام المؤلمة مكّنهم من تقديم صورة صادقة للواقع المرير. إن أحد الجوانب المهمة لشعر *الرصافى* هو الجزء السردى والقصصى الذى استخدمه فى خدمة الدفاع عن حقوق الفقراء والفقراء والأيتام والأطفال المشردين والشرائح الدنيا من المجتمع بشكل عام. ومن أهم هذه القصائد قصيدة «الفقر والسقم» حيث يصور البشير وأخته فى فقر مدقع وجوع فى خمسة مشاهد. وأخيراً، تنتهى القصيدة بنقده للأغنياء:

أيُّها الأغنياء كم قد ظلمتم نعم الله حيث ما إن رحمتم

سهر البائسون جوعا ونمتم بهناءٍ مِن بعد ما قد طعمتم

من طعام منّوع و شراب

(الرصافى، ٢٠١٢: ١٥٦)

فى الفقرة الأخيرة يلوم الأغنياء على الفقراء ويقول لهم بكلمات ساخرة:

كم بذلتم أموالكم فى الملاهى وركبتم بها متون السفاه

وبخلتم منها بحقّ الله أيها الموسرون بعض انتباه

أفتدرون أنكم فى تباب

(نفس المصدر، ٢٠١٢: ١٥٦)

يمنع *الرصافى* الأغنياء من النظر إلى الفقراء لأنه يزيد من معاناتهم:

أيّا الناظر ذا الـفقـ ـر بعين الازدراء
لا تزد بلواه من فعـ ـلک هـذا ببـلاء

(نفس المصدر، ٢٠١٢: ١١)

يحيى السماوى يشكک فى الاستبداد العراقى والاستعمار، ويلومهم على الفقر والمرض والنزوح:

«آه/ من الملايين الفقراء.../ المرضـى.../ المُشـرَّدين.../ وكـلٍّ مـن كانـت الطيبـة أمـى/ تُطعمهم كلّش يوم»(السماوى، ٢٠٠٩: ٢٤)

فى قصيدة «اباء»، يعطى الشاعر نبض قلبه لأولئک الذين يقفون أمـام الـذئاب البريـة. وكذلک الأطفال الذين يتحولون فى أزقة أرضهم الخلفية إلى صناديق القمامة فى المدينة من الجوع الشديد. هكذا؛ يروى هذه الحقيقة المرة بطريقة معبرة:

«أنا أُقَلّدُ نبضَ قلبى للذين/ يُقاتلون الذئب فى البُستان/ للأطفال يسجدون مـن الجُـوع براميل القمامة»(نفس المصدر، ب ٢٠٠٦: ٨٤)

نتيجة البحث

من القضايا التى أثيرت فى المقال، نسـتنتج أن *السـماوى والرصـافى*» فـى قصـائدهما يدافعان عن حقوق الإنسان السامية وقيم الشعب العراقى ويسعون إلى الحفاظ على العدالة والحرية فى المجتمعات البشرية، وقد اشتكوا مـن الظلـم فـى المجتمـع العراقـى وحـذروا حكام زمانهم بطرق مختلفة. بالنظر إلـى التـاريخ المضـطرب للعـراق المعاصـر، *السـماوى والرصافى*، اللذان عاشا فى سياق الأحداث، أوليـا اهتمامـا خاصـا لظـاهرة الثـورة والقمـع، ولتحقيق هذه القيم، قاما مع الشعب العراقى المضـطهد بخطـوة فـى مجـال النضـال ضـد الاستعمار. ومع سلاح القلم والشعر، تم فتح فصل جديد للمواضيع الثورية، وبهذه الطريقـة تحملوا كل المعاناة والمشقة. لكنهما لم ينحنيا إلى حكام ذلک الوقت، مـع الفكـر الثـورى والقوة الفكرية، دعوا الظالمين إلى العدالة.

بالإضافة إلى ذلک، مع صرخة ثورية للدفاع عن حقوق الناس، فـإنهم يكـافحون بشـدة ضد ظاهرة الفقر والمسافة الطبقية والعـادات الخرافيـة والانقسـام والظلـم. وشـحذوا حـدة هجومهم على الانتهازيين غير المؤلمين والوزراء الفاسدين والجواسـيس والخونـة وشـعراء

المحاكم والعلماء المنافقين. إن الشعراء المذكورين طوال حياتهم، وفقًا لقيم الإسلام الأصلية، هم راية الدعوة فى مختلف المجالات، بما فى ذلك: الديناميكية والبحث عن الحق، والتعلم، والوحدة والتضامن، والإرادة والجهد، والمسؤولية، والولاء، والثقة وقد أثيرت الرغبة فى الحرية والاستقلال. يظهر مجموع قصائد هذين الشاعرين الثوريين العراقيين أن صراخهم من أجل العدالة لا يقتصر على العراق ويغطى العالم الإسلامى بأكمله.

المصادر والمراجع

آشوری، داریوش. ۱۳۵۸ش، **فرهنگ سیاسی**، چاپ ششم، تهران: نشر مروارید.

الجیوسی، سلمی خضراء.۲۰۰۱م، **الاتجاهات والحرکات فی الشعر العربی الحدیث**، عبد الواحد لؤلؤة، الطبعه الأولی، بیروت: مرکز دراسات الوحده العربیه.

خفاجی، عبدالمنعم. ۱۹۸۵م، **الأدب العربی الحدیث**، ج۱، الطبعة الأولی، مکتبة الکلیات الأزهریة.

الخیاط، جلال. ۱۹۸۷م، **الشعر العراقی الحدیث(مرحلة وتطور)**، ط۲، لا مک: دار الرائد العربی.

الدجیلی، عبدالکریم. ۱۹۵۹م، **محاضرات عن الشعر العراقی الحدیث**، لا مک: معهد الدراسات العربیة العالمیة.

الرصافی، معروف. ۲۰۱۲م، **دیوان**، القاهرة: مؤسسة هندوانی للتعلیم والثقافة.

السماوی، یحیی. ۲۰۰۶الف، **قلیلک ... لا کثیرهنَّ**، استرالیا: لا نا.

السماوی، یحیی. ۲۰۰۶ب، **نقوش علی جذع نخلة**، دمشق: دار التکوین.

السماوی، یحیی. ۲۰۰۸م، **البکاء علی کتف الوطن**، الطبعة الأولی، دمشق: دار التکوین.

السماوی، یحیی. ۲۰۰۸م، **مسبحة من خرز الکلمات**، دمشق: دار التکوین.

السماوی، یحیی. ۲۰۰۹م، **شاهدة قبر من رخام الکلمات**، الطبعة الأولی، دمشق: دار التکوین.

السماوی، یحیی. ۲۰۱۰م، **لماذا تأخرت دهرا**، دمشق: دار الینابیع.

السماوی، یحیی. ۲۰۱۱م، **بعیدا عنی قریبا منک**، الطبعة الأولی، دمشق: دار الینابیع.

السماوی، یحیی. ۲۰۱۳، **أطفئینی بنارک**، الطبعة الأولی، دمشق: لا نا.

شفیعی کدکنی، محمد رضا. ۱۳۸۰ش، **شعر معاصر عرب**، تهران: انتشارات سخن.

العبطه، محمود. ۱۹۹۲م، **معروف الرصافی حیاته وآثاره ومواقفه**، بغداد: دار الشؤون الثقافیة العامة.

عز الدین، یوسف. ۱۹۵۷م، **الشعر العراقی أهدافه وخصائصه فی القرن التاسع عشر**، القاهرة: دار المعارف.

عز الدین، یوسف. ۱۹۶۵م، **الشعر العراقی الحدیث التیارات السیاسیة والاجتماعیة**، القاهرة: دار القومیة للطباعة والنشر.

العزاوی، عباس. ۱۳۶۹ش، **تاریخ العراق بین الاحتلالین**، ج۷، الطبعة الأولی، قم: انتشارات شریف رضی.

المقالات والرسالات الجامعیة

باقری، بهنام و جهانگیر امیری و هادی جاهد. ۱۳۹۳ش، «**استخدام الرموز فی شعر یحیی السماوی**»، فصلیة دراسات الأدب المعاصر، السنة السادسة، العدد ۲۳، خریف، صص ۹- ۲۶.

بلاوی، رسول و عباس طالب زاده. ۲۰۱۱م، «**التناص القرآنی فی شعر یحیی السماوی**»، مجلة الدراسات الأدبیة، شماره ۹، صص۸۱-۹۸.

بلاوی، رسول و مرضیه آباد. ۱۴۳۵ق، «**ملامح المقاومة فی شعر یحیی السماوی**»، مجلة آفاق الحضارة الاسلامیة، العدد ۳۳، الربیع والصیف، صص۱۹- ۵۰.

بلاوی، رسول. ۱۳۹۱ش، «**توظیف الموتیف فی شعر یحیی السماوی**»، رساله دکتری دانشگاه فردوسی مشهد.

پیشوایی علوی، محسن و حسن سرباز و منیژه راشدیان. ۱۳۹۶ش، «**بررسی تطبیقی مقوله آزادی در شعر معروف رصافی و فرخی یزدی**»، دوفصلنامه مطالعات تطبیقی فارسی- عربی، س ۲، ش ۳، بهار و تابستان، صص ۱- ۸۴.

حاجی زاده، مهین و محدثه ابهن. ۱۳۹۱ش، «**نقش قرآن و میراث دینی در اشعار استعمار ستیزی یحیی سماوی**»، فصلنامه ادبیات دینی، دوره۱، شماره ۳، صص ۱۲۵-۱۴۸.

صالحی زاده، سکینه. ۱۳۹۷ش، «**بررسی تطبیقی نکوهش ظلم در اشعار معروف الرصافی و شهریار**»، مجله اورمزد، ش ۴۱، صص ۸۱- ۹۴.

غیبی، عبدالاحد و لیلا جباری. ۱۳۹۳ش، «**یحیی سماوی مظهر آمریکایی ستیزی در شعر معاصر عراق**»، مجله نقد ادب معاصر عربی. دوره ۴، ش ۶، بهار و تابستان، صص۱۶۶- ۱۹۲.

غیبی، عبدالاحد و نسرین حسینی توان. ۱۳۹۷ش، «**مفاهیم مشترک در شعر شاعران عراقی در تبعید (بررسی موردی یحیی السماوی و عدنان الصائغ)**»، پژوهشنامه ادب غنایی، سال شانزدهم، ش ۳۱، پاییز و زمستان، صص۱۲۷- ۱۴۶.

معروف، یحیی و تورج زینی وند و جهانگیر امیری و بهنام باقری. ۱۴۴۱ق، «**دراسة أسلوبیة فی الدواوین النثریة للشاعر العراقی یحیی السماوی المستوی الصوتی**»، مجلة بحوث فی اللغة العربیة وآدابها، العدد ۲۲، ربیع و صیف، ص۶۱.

Bibliography

Ashuri, Darius. 1979, Political Culture, sixth edition, Tehran: Morvarid Publishing.

Al-Jayousi, Salmi Khazra. 2001, Reflections and movements in the Arabic poetry of Hadith, Abdul Wahid Lulu, First Edition, Beirut: Center for the Studies of Al-Wahda Al-Arabiya.

Khafaji, Abdul Monam 1985, Al-Adab Al-Arabi Al-Hadith, The First Part, The First Edition, Al-Azhari General Library.

Al-Khayat, Jalal. 1987, Iraqi Poetry of Hadith (stage and evolution), second edition, La Mac: Dar al-Raed al-Arabi.

Al-Dajili, Abdul Karim 1959, Lectures on Iraqi Poetry of Hadith, La Mac: Institute for World Arabic Studies.

Al-Rasafi, Maruf. 2012, Diwan, Cairo: Hindu Institute for Education and Culture.

Al-Samawi, Yahya 2006 A., Qalilak ... La Kathira Hanna, Australia: La Na.

Al-Samawi, Yahya 2006 B, Naghush Ala Jaza Nakhlat, Damascus: Dar al-Takwin.

Al-Samawi, Yahya 2008 AD, Al-Baka 'Ali Kataf Al-Watan, First Edition, Damascus: Dar Al-Takwin.
Al-Samawi, Yahya 2008 AD, Masbah Men Kharaz al-Kalemat, Damascus: Dar al-Takwin.
Al-Samawi, Yahya 2009, Shahedat Ghabr Men Rakham Al-Kalemat, First Edition, Damascus: Dar al-Takwin.
Al-Samawi, Yahya 2010 AD, Lemaza Taakhorat Dahra, Damascus: Dar Al-Yanabi.
Al-Samawi, Yahya 2011 AD, Baida Ani Ghariba Mank, First Edition, Damascus: Dar Al-Yanabi.
Al-Samavi, Yahya. 2013, Atfaeini Banarak, first edition, Damascus: Lana.
Shafi'i Kadkani, Mohammed Reza. 2001, Contemporary Arab Poetry, Tehran: Sokhan Publications. Al-Abtah, Mahmoud. 1992 AD, Marouf Al-Rasafi Hayat and Asarat and Movaghefat, Baghdad: Dar Al-Shoun Al-Saghafiyat Al-Ama.
Ezz El-Din, Youssef. 1957 AD, Al-Sher Al-Araghi Al-Hadis Al-Tayarat Al-Siyasiyat and Al-Ejtemaeiat, Cairo: Dar Al-Ghumiyat Leltabaat Valnashr.
Al-Azawi, Abbas. 1990, The History of Iraq between the Two Occupations, Part 7, First Edition, Qom: Sharif Razi publications.

Articles and dissertations

Baqri, Behnam, Jahangir Amiri and Hady Jahed. 2014, "Estekhdam Al-Romuz Fi Sher Yahya Al-Samavi", Contemporary Literature Studies Chapter, Sixth Year, Issue 23, Autumn, pp. 9-26.
Balawi, Rasul and Abbas Talibzadeh. 2011 AD, "The Qur'anic Intertextuality in the Poetry of Yahya Al-Samavi", Journal of Literary Studies, No 9, pp. 81-98.
Balawi, Rasoul and Marziyeh Abad. 1435 BC, "The Features of Resistance in the Poetry of Yahya Al-Samavi", Journal of Afagh Al-Hezarat Al-Eslamiyat, Issue 33, Spring and Summer, pp. 19-50.
Balavi, Rasoul. 2012, "Tozif Al-Mutif Fi Sher Yahya Al-Samavi", Ph.D thesis, Ferdowsi University of Mashhad.
Pishavaiy, Alavi, Mohsen, Hasan Sarbaz and Manije Rashedian. 2017, "Comparative Study of Freedom Issue in the Poetry of Maarouf Rasafi and Farokhi Yazdi", Comparative Study of Persian-Arabic Journal, No 3, Spring and Summer, pp. 1- 84.
Hajizadeh, Mahin and Mohadeseh Abhan. 2012, "The Role of Qur'an and Religious Heritage in the Anti-Colonial Poems of Yahya Samavi", Quarterly Journal of Religious Literature, Volume 1, Number 3, pp. 125-148.
Salehizadeh, Sakineh. 2018, "A Comparative Study of the Condemnation of Oppression in the Famous Poems of Al-Rasafi and Shahriyar", Ormozd Magazine, Vol. 41, pp. 81-94.
Gheibi, Abdul Ahad and Leila Jabbari. 2014, "Yahya Samawi, the manifestation of anti-Americanism in contemporary Iraqi poetry", Journal of Critique of Contemporary Arabic Literature. Volume 4, Issue 6, Spring and Summer, pp. 166-192.
Gheibi, Abdul Ahad and Nasrin Hosseini Tavan. 2018, "Common Concepts in the Poetry of Iraqi Poets in Exile (A Case Study of Yahya Al-Samawi and Adnan Al-Sayegh)", Journal of Lyrical Literature, Vol. 16, No. 31, Fall and Winter, pp. 127-146.
Maruf, Yahya and Touraj Zeinivand and Jahangir Amiri and Behnam Bagheri. 1441 AH, "Dorasat Oslubiyat Fi Al-Davavin Al-Nasriyat Lelshaer Al-Araghi Yahya Al-Samawi Al-Mostawi Al-Suti", Journal of Research in Arabic Language and Etiquette, number 22, Rabi 'and Saif, p. 61.

Revolutionary and protest approach in the poems of Yahya Al-Samawi and Maroof Al-Rasafi

Mostafa Esmailpour: PhD student in Persian language and literature. Anar unit. Anar Islamic Azad University. Iran
Asiyeh Zabih Nia Omran: Associate Professor of Persian Language and Literature, Payame Noor University of Yazd. Iran
Mahmoud Sadeghzadeh: Associate Professor, Department of Persian Language and Literature. Yazd unit. Islamic Azad university. Yazd. Iran

Abstract

Yahya al-Samawi and Maruf al-Rasafi (1875-1945) are Iraqi contemporary poets who, in their poems, call for the fight against internal tyranny and foreign violation in all political, social, cultural and economic fields and to stand up against anti-liberation currents and the situation of Iraqi society has played an important role in their poetry. Al-Samawi and Al-Rasafi, in their revolutionary poems, seek a language to talk to all the people of the world and to express the sufferings of humanity. Revolutionary culture is as a protest and critical poem that expresses social pains and sufferings. And it is like a court for trial and condemning destruction, revelations; anti-oppression ... In this article, it is tried to study the revolutionary effects and their reflection in the poems of these two Iraqi poets by descriptive and analytical methods.

Keywords: Revolutionary Culture, Iraq, Al-Rasafi, Al-Samawi, Protest.

رویکرد انقلابی و اعتراضی در اشعار یحیی السماوی و معروف الرصافی

مصطفی اسماعیل پور*
آسیه ذبیح نیا عمران**
محمود صادق زاده***

چکیده

یحیی *السماوی* و *معروف الرصافی*(۱۸۷۵-۱۹۴۵) از شاعران معاصر عراقی هستند که در اشعار خود، ستیز با بیداد داخلی و تجاوز خارجی در همه حوزه‌های سیاسی، اجتماعی، فرهنگی و اقتصادی و ایستادگی در برابر جریان‌های ضد آزادی را خواهان هستند و اوضاع جامعه عراق نقش مهمی در شعر آنان داشته است. *السماوی* و *الرصافی*، در اشعار انقلابی، به دنبال زبانی برای گفت‌وگو با همه مردم جهان و بیان رنج‌های بشریت‌اند. فرهنگ انقلابی در حکم شعری معترض و منتقد است که بیانگر دردها و رنج‌های اجتماعی است و به مثابه دادگاهی برای محاکمه و محکوم کردن تباهی‌ها، افشاگری‌ها، و ستم‌ستیزی‌ها است. در این مقاله سعی بر آن است تا با روش توصیفی و تحلیلی جلوه‌های انقلابی و انعکاس آن در اشعار این دو شاعر عراقی بررسی شود.

کلیدواژگان: فرهنگ انقلابی، عراق، الرصافی، السماوی، اعتراض.

* دانشجوی دکتری زبان و ادبیات فارسی، واحد انار، دانشگاه آزاد اسلامی، انار، ایران.
** دانشیار زبان و ادبیات فارسی دانشگاه پیام نور یزد. ایران.
*** دانشیار گروه زبان و ادبیات فارسی، واحد یزد، دانشگاه آزاد اسلامی، یزد، ایران.